الانعزالي ذاك هو بالضبط جذر الحالة التراجيدية التي اثبت لبنان ( بعد تجاوز ماض مؤقت ) انه لا يتسع لها · ( ٥ )

وبقدر ما يخطىء الذي يقول ان سعد حداد هو الوجه الاخر لميشال شيحا ، يخطىء كذلك من يقول ان سعد حداد لا يتصل بميشال شيحا ، اذ الشيحوية هي حالة من تأجيل الواقع ، ومع ولادة اسرائيل والعناصر الاخرى المستجدة تحرك الواقع بسرعة فكان سعد حداد حفيد ميشال شيحا الوحيد ·

وبلغة اكثر وضوحا يمكن القول ان تحولا قد حصل في المناخ الامبريالي بين الفترة التي تلت الحرب الاولى والفترة التي تلت الحرب الثانية ، ففي الاولى كان المناخ الامبريالي « معتدلا » يجد رموزه في استعمار اوروبي ووسائط محلية ( لبنانية مثلا ) لكن جدلية العملية الاستعمارية الغت او اهملت الكثير من العناصر التي اوجدتها في تلك الفترة ·

فاذا وجد لبنان عام ١٩٢٠ من ضمن ترتيب الوضع القائم لمصلحة الغرب ، ففي المرحلة الثانية حيث بات المناخ الامبريالي حارا باتت الرموز البديلة مغايرة : أميركا بدلا عن اوروبا ، وهزيمة العرب بدل المساومة معهم ، اي اسرائيل بدل لبنان ·

ولبنان لا يستطيع ان يلعب دوره كاملا الا في مناخ من المساومة العربية الغربية ، مساومة مغلفة بلون من التوازن ·· فهو كائن يمتنع عن « التطرف » ولا يرتاح اليه ، خصوصا وان نشأة اسرائيل قد تقود الى هيجان سياسي في العالم العربي كثيرا ما حذر منه شيحا ·

والتراجيدية تأخذ شكلا ناجما عن مخاطبة « المتطرفين » بلغة « معتدلة » ·

( وهذه تراجيدية نراها اليوم في الافق المسدود أمام مواقف بعض الاقطار العربية التي لم تؤيد سياسة السادات ) : فمن موقع الحرص على « المساومة » في المنطقة حرص شيحا على مطالبة الغرب وخصوصا الولايات المتحدة ، بايجاد « حل سلمي » اكثر تقدما بكثير من الحالة الساداتية المراهنة ، ( ٦ ) وأقل بكثير من الدعوة لجعل الشعب العربي يمارس نضاله التحرري ضد اسرائيل، وهي دعوة لشد ما خافها شيحا و « لبنان » الذي كان مؤجلا ·

فلنحاول ان نعين كيف أعاد شيحا قراءة « الصيغة اللبنانية » على ضوء اسرائيل ، بل تلاوة هذه الصيغة على اسرائيل تلاوة لا تخلو من التبشير اللبناني الذي لم يطل به العمر ·

لقد مثل تقسيم فلسطين بالنسبة له انكسارا في « نظرية » النموذج اللبناني ، فهو يطمح الى « لبننة » الكائن الجديد عن طريق « تعايش الطوائف » فيه ، ووقف الجنوح الى الصهينة والعنصرية بوصفهما يقطعان مع ما يمثله « التعايش » اللبناني·

وبلغة أخرى ، قدم « لبنان » عبر شيحا رده ـ بالطوائف ـ على اسرائيل ، فهذا يضمن عدم استنهاض الرد الاخر : الرد بالجماهير ··· وهو ايضا يوفر تعميم الغلبة المارونية ( وهنا الغلبة اليهودية ) بدل الهيمنة العنصرية الكاسحة والشمولية التي تضع المنطقة بكاملها على فوهة البركان ، ( ٧ ) وهذا التصور يشكل امتدادا طبيعيا لمحاولة الحفاظ الماضوي على مناخ امبريالي معتدل ( بدل ان يكون متطرفا ) ·

والخوف من اختلال الصيغة اللبنانية على يد الصيغة الاسرائيلية يجعل شيحا يدق أعلى نواقيس الخطر واكثرها مباشرة ووضوحا فـ « اعتبروا ان الدولة اليهودية قد صنعت · حتى بتنا نرتقب على ربية